المكتبة الخضراء للأطفال

٢٧

الشاطر محظوظ



رسوم
هاني دافيد

بقلم
يعقوب الشاروني

الطبعة العاشرة

فِى قَدِيمِ الزَّمانِ ، عاشَتْ أَمِيرةٌ رائِعَةُ الْجَمالِ ، فِى مَدِينَةٍ عَظِيمَةٍ ، تَحْكُمُها مَلِكَةٌ عَجُوزٌ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ أَفْضَلِ الشُّبَّانِ يَطْلُبُونَ الزَّواجَ مِنَ الْأَمِيرَةِ . لكنَّ الْمَلِكَةَ لَمْ تَكُنْ تُرِيدُ هذَا الزَّواجَ ، لِكَىْ لا يُطالِبَ الزَّوْجُ بِأَنْ يُصْبِحَ مَلِكاً بَدَلاً مِنْها . لِهذا كانَتْ تَطْلُبُ مِمَّنْ يَتَقَدَّمُ لِخِطْبَةِ الْأَمِيرَةِ ، أَنْ يَقُومَ بِبَعْضِ الْأَعْمالِ الصَّعْبَةِ . فَإِذَا أَخْفَقَ ، تَسْجُنُهُ فِى جَزِيرَةٍ وَسَطَ الْبَحْرِ ، يَرْعَى الْماعِزَ وَالْأَغْنامَ طَوالَ حَياتِهِ .

وَلَمْ يَتَمَكَّنْ أَىُّ شابٍّ مِنْ تَنْفِيذِ طَلَباتِ الْعَجُوزِ ، فَكانَ السِّجْنُ مَصِيرَهُمْ جَمِيعاً .



لَقَدْ طَلَبَتْ مِنْهُمُ الْعُثُورَ عَلَى جَواهِرَ صَغِيرَةٍ جِداً ، ضاعَتْ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ جِداً ! أَوْ إِحْضارَ طُيُورٍ غَرِيبَةٍ جِداً ، مِنْ أَماكِنَ بَعِيدَةٍ جِداً !

أَوْ نَقْلَ صَنَادِيقَ ثقيلةٍ جِدًّا ، إِلَى أَمَاكِنَ عالِيَةٍ جِدًّا ! كُلُّ هذَا فِى وَقْتٍ قَصِيرٍ جِدًّا ! ! . وَفِى كُلِّ شَهْرٍ ، كَانَ يَتَقَدَّمُ شُبَّانٌ جُدُدٌ ، فَلا يُفْلِتُ أَحَدُهُمْ مِنَ السِّجْنِ فِى جَزِيرَةِ الماعِزِ وَالْأَغْنَامِ ، وَسَطَ الْبَحْرِ .

وَفِى مَدِينَةٍ صَغِيرَةٍ ، تَبْعُدُ كَثِيراً عَنْ مَدِينَةِ الْأَمِيرَةِ ، كانَ يَعِيشُ فَتًى اسْمُهُ « مَحْظُوظٌ » هُوَ ابْنُ حَاكِمِ الْمَدِينَةِ . وَكَانَ أَهْلُ هَـــذَا الْبَلَدِ ، يُحِبُّونَ السَّفَرَ وَالْمُغَامَرَاتِ . وَفِى كُلِّ لَيْلَةٍ ، يَجْلِسُ الْفَتَى بَيْنَ الْعَائِدِينَ مِنْ رِحْلاتِهِمْ يَسْمَعُ أَخْبَارَ الْعَالَمِ الْوَاسِعِ .

وَلَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ ، احْتَلَّتْ أَخْبَارُ الْأَمِيرَةِ الْجَمِيلَةِ جانِباً كَبِيراً مِنْ قَصَصِهِمْ وحِكَايَاتِهِمْ . وانْطَلَقَ خَيَالُ الْفَتَى « محظوظ » يُصَوِّرُ لَهُ صِفَاتِ هٰـذِهِ الْأَمِيرَة ، الَّتِى سُجِنَ كَثِيرُونَ مِنْ أَجْلِهَا . وَأَخِـيراً قَالَ لِوَالِدِه : « أَرْجُو أَنْ تَسْمَحَ لِى يا والِدِى بِالذَّهَابِ لِخِطْبَةِ الْأَمِيرَةِ الْحَسْنَاء » . فَصَاحَ وَالِدُهُ مُنْزَعِجاً : « سَتُسْجَنُ كَمَا سُجِنَ كَثِيرُونَ غَيْرُك ، وَتَقْضِى بَقِيَّةَ حَيَاتِكَ تَرْعَى الْأَغْنَامَ وَالْمَاعِزَ . لَنْ أَسْمَحَ بِهٰذَا أَبَداً ! »

أَحْـــزَنَ هٰـذَا الْجَـوَابُ « محظوظاً » . واشْتَدَّ بِهِ الْحُزْنُ حَتَّى



خَشِيَ والِدُهُ أَنْ يُصِيبَهُ الْمَرَضُ ، فَقَالَ لَـهُ : « لا تَحْـزَنْ . اذْهَبْ إِلَى الْأَمِـيرَةِ ، بِشَرْطِ أَنْ تَعْتَمِدَ عَلَى نَفْسِكَ فِى سَفَرِكَ ، كَمَا يَفْعَلُ بَقِيَّةُ أَهْلِ بَلَدِنَا . سَأُعْطِيكَ حِصَانِى الْأَبْيَضَ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تُدَبِّرَ بَقِيَّةَ أَمْرِكَ » .



أَجَابَ « مَحْظُوظٌ » فِى سَعَادَةٍ : « يَكْفِينِى هٰذَا الْحِصَانُ » .

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ الْأَبْيَضِ ، فِى طَرِيقِهِ إِلَى مَدِينَةِ الْأَمِيرَةِ الْجَمِيلَةِ .

لَمْ يَكُنْ « مَحْظُوظٌ » قَدِ ابْتَعَدَ كَثِيراً عَنْ مَدِينَتِهِ ، عِنْدَمَا سَمِعَ امْرَأَةً تَبْكِى ، وَشَاهَدَ بِجَانِبِ الطَّرِيقِ

سَيِّدَةً تَتَسَاقَطُ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهَا بِغَزَارَةٍ ، فَاقْتَرَبَ مِنْهَا وَسَأَلَهَا : « لِمَاذَا تَبْكِينَ يا سَيِّدَتِى عَلَى هٰذَا النَّحْوِ الْمُؤْلِمِ ، فِى هٰذَا الْيَوْمِ الْجَمِيلِ » .

رَفعَتِ الْمَرْأَةُ وَجْهَها الْحَزِينَ لِتَنْظُرَ إِلَى « محْظُوظٍ » .. وَفَجْأَةً ، ثَبَّتَتْ نَظَرَها عَلَى الْحِصَان ، وَصاحَت : « إِنَّهُ أَبْيَضُ ! . . . أَبْيَضُ لا يَخْتَلِطُ بَيَاضُهُ بأىِّ لَوْنٍ آخَر ! ! » . فَسَأَلَهَا الْفَتَى فِى حَيْرَةٍ : « مَا مَعْنَى هٰذَا ؟ » أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ ونَظَرُهَا مُثَبَّتٌ عَلَى الْحِصَانِ : « كُنْتُ أَسِيرُ وَمَعِى ابْنِى ، عِنْدَما هاجَمَنِى عِمْلاقٌ وانْتَزَعَهُ مِنِّى . . » .

قالَ « محظُوظٌ » : « أين ذَهَبَ هٰذَا الشِّرِّير ؟ سأَذهبُ لِقتالِه » . أجَابَتِ السَّيِّدة : « إِنَّهُ مَخْلُوقٌ غَيْرُ عادِيٍّ ، لا تُؤَثِّرُ فيه الْأَسْلِحَةُ أَو السُّيُوفُ . شَىْءٌ واحِدٌ يَحْمِلُهُ عَلَى إِرْجاعِ طِفْلِى . أَنْ أَذهَبَ إِلَيْهِ وَحْدِى ، راكبةً حِصاناً كامِلَ الْبَيَاض ! . . وَكُنْتُ أظُنُّ أَنَّهُ لا وُجُودَ لِمِثْلِ هٰذَا الْحِصَان » .

رَقَّ قَلْبُ « محظُوظٍ » لِمَوْقِفِ السَّيِّدَةِ الْمُحْزِن ، وَأَحَسَّ بِلَهْفَتِها على ابنِها . وبِدُونِ تَرَدُّدٍ ، فُوجِئَتِ السَّيِّدَةُ بِالْفَتَى يَقْفِزُ عَنْ حِصَانِهِ إِلَى الْأَرْضِ ،

وَيَرْفَعُها بِذِراعَيْهِ الْقَوِيَّتَيْن ، لِيَضَعَها عَلَى ظَهْرِ الْحِصان وَهُوَ يَقُولُ « اذهبي إلى ابْنِكِ . وَفَّقَكِ الله » . ثُمَّ وَخَزَ الْحِصَانَ ، فانْطَلَقَ يَجْرِى بِراكِبَته .

وَهُنَا حَدَثَ شَىْءٌ غَرِيبٌ : رَأَى « محظوظٌ » ضَوْءًا يُحِيطُ بالحِصَانِ وراكِبَتِه ، أخَذَ يَشْتَدُّ كُلَّمَا ابْتَعَدَا .

وَفَجْأَةً ، أَوْقَفَتِ الرَّاكِبَةُ الْجَوادَ ، وحَوَّلَتْ وجْهَها نَحْوَ « محظوظٍ » . كانَتْ مَلامِحُهَا تَشِعُّ بِالسَّعادَةِ وَالنُّبْلِ وَالْجَمَال . وَفِى صَوْتٍ مُوسِيقِىٍّ عَذْبٍ قَالَت « لا تَرْجِعْ إلَى مَدِينَتِكَ أَيُّهَا الْفَتَى الطَّيِّبُ ، وَسَتُقَابِلُ فِى طَرِيقِكَ خَمْسَ غَرَائِبَ عَجِيبَة ! » .

وَفَجْأَةً ، اخْتَفَتْ وَسَطَ ضَبابٍ أَبْيَض .

ولَمْ يَعْرِفْ « مَحْظُوظٌ » أكانَ هٰذا حُلْماً أَمْ حَقِيقَةً ، وَلَمْ يَدْرِ أكَانَتْ هٰذِهِ السَّيِّدَةُ مِنَ الْبَشَرِ أَمْ هِىَ مَلاَكٌ كَرِيمٌ . لٰكِنَّ الْأَمْرَ الْمُؤَكَّدَ أَنَّ حِصَانَهُ قَدِ اخْتَفَى .



كانَ الطَّرِيقُ طَوِيلاً وَشاقًّا،يَتعَذَّرُ الاسْتِمْرارُ فِيهِ بِغَيْرِ حِصَانٍ. ومَعَ هٰذا، مَلَأَتْهُ الْكَلماتُ الْأَخِيرَةُ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا السَّيِّدَةُ بِنَشَاطٍ عَظِيمٍ، وَقُوَّةٍ هائِلَةٍ، وتَصْمِيمٍ لا حَدَّ لَهُ!

* * *

لَمْ يَصْطَحِب الْفَتَى «محظوظ» أَيَّ أَتْبَاعٍ مَعَهُ عِنْدَ سَفَرِهِ، تنفيذاً لِمَا قَرَّرَهُ والدُه مِنْ أَنْ يُدَبِّرَ بِنَفْسِهِ كُلَّ أُمُورِ سَفَرِه، لَكِنَّهُ عِنْدَما وَجَدَ نَفْسَهُ يَسِيرُ عَلَى قَدَمَيْه، قال:

– لا بُدَّ أَنْ أَتَّخِذَ أَتْبَاعاً فِى أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، أَخْتَارُهُمْ بِنَفْسِى»

وتَطَلَّعَ «محظوظٌ»، فَشاهَدَ عَلَى مَسَافَةٍ أَمَامَهُ تَلاًّ يَرْتَفِعُ فِى وَسَطِ الطَّرِيقِ، فَهَمَسَ لِنَفْسِهِ: «هٰذا شَيْءٌ غَرِيبٌ. إِنَّ الطُّرُقَ

تَلْتَفُّ حَوْلَ التِّلالِ ، وهٰذِهِ أَوَّلُ مَـرَّةٍ أَرى فِيهَا تلاًّ يَتَوسَّطُ الطَّـرِيق » .

وَاتَّجَهَ ناحِيَةَ التَّلِّ ، فَلاحَظَ شَيْئاً غَرِيباً . . . كَانَتْ قِمَّتُهُ تَـرْتَفِعُ وَتَنْخَفِضُ بِانْتِظَامٍ كَأَنَّها شَخْصٌ يَتَنَفَّسُ . وسُرْعَانَ مَا وَجَدَ « محظوظٌ » نَفْسَهُ أَمامَ رَجُلٍ هائِلٍ ، يَسْتَلْقِي نائِماً عَلَى ظَهْرِه . . . رَجُلٍ بَدِينٍ جِدًّا ، حَتَّى إِنَّ بَطْنَهُ الضَّخْمَ ظَهَـرَ مِنْ بَعِيدٍ كَأَنَّهُ تَلٌّ صَغِيرٌ ! .

وَقَفَ « محظوظٌ » يَتَأَمَّلُ فِى دَهْشَةٍ ذلِكَ الْجِسْمَ الْهَائِل . وَفَجْأَةً ، تَحَرَّكَ الرَّجُلُ النَّائِمْ ، وفَتَحَ عَيْنَيْهِ الكَبِيرَتَيْنِ ، فَبَادَرَهُ « محظوظ » بِالسُّؤال : « مَاذا تَفْعَلُ هُنَا أَيُّهاالرَّجُلُ الْهَائِلْ ؟ » .

فَـتَحَ الرَّجُلُ فَمَهُ الْـوَاسِعَ ، وَأَجَاب : « كُنْتُ نائِماً لِأَنَّنى لَمْ أَكُنْ آكُلُ . فأَنَا إِمَّا أَنْ آكُلَ ، وإِمَّا أن أَنَامَ ، والْآنَ أَسْتَيْقِظُ لِحَاجَتِى إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الطَّعَام . . قالَ الْفَتَى « محظوظ » : « وماذا تَنَاوَلْتَ هذَا الصَّبَاح ؟ » . أجابَ الْـبَدِينُ فِى أَسًى : « ثَلاثَ بَقَرَاتٍ ومائَةَ رَغِيفٍ فَقَط ! » وفَتَحَ « محظوظٌ » فَمَهُ من الدَّهْشَةِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَعْرِفَ بماذا يُجيب . ولاحَظَ الرَّجُلُ دهشَتَه ، فَأَسْرَعَ يُكْمِلُ كَلامَه : « لا تَتَعَجَّبْ . . . انْظُر . . . » .

واتَّجَهَ الرَّجُلُ الْبَدِينُ إلى شَجرةٍ كَبِيرَة ، وَلَفَّ ذِرَاعَهُ حَوْلَ ساقِهَا الْغَلِيظَة ، وانْتَزَعَهَا فِى سُهُولةٍ مِنَ الْأَرْض ، وَحَمَلَهَا تَحْتَ إِبْطِه. وَقَبْل أنْ يُفِيقَ « محظوظٌ » مِنْ دَهْشَتِه ، مَدَّ البَدِينُ ذِرَاعَهُ الثَّانِيَة ، وانْتَزَعَ شَجرَةً أُخْـرَى ، ثُمَّ وَقَفَ يَرْقُصُ وَيُغَنِّى وَهُوَ يَحْمِلُ الشَّجَرَتَيْن ، فانْقَلَبَتْ دَهْشَةُ « محظوظٍ » إلَى ضِحْكَةٍ عَالِيَةٍ . وَاشْتَرَكَ الرَّجُلُ الْبَدِينُ فِى الضَّحِكِ وَهُوَ يَقُول : « ولِكَىْ أَتَمَتَّعَ بِكُلِّ هٰذِهِ الْقُوَّةِ ، لا بُدَّ أَنْ آكُلَ





كُلَّ هـذا الطَّعَام » .

وَقَالَ « محظوظٌ »

لِنَفْسِهِ : « لماذا لا

أَتَّخِـذُ هـذا الرَّجُلَ

صديقاً وتابعاً ؟ ! »

ثم نَظَرَ إِلَيْهِ وَسَأَلَه :

« هَلْ تَقُومُ بِأَىِّ عَمَلٍ

فِى هَذِهِ النَّاحِيَة ؟ » .

أَجَابَ الْبَدِينُ القَوىّ : « أبحثُ عَنْ مَكَانٍ فِيهِ طَعَامٌ كَثِيرٌ ! »

قال « محظوظٌ » : « لِمَاذَا لا تُسَافِر مَعِى ؟ قَدْ نَجدُ معاً هذا الْمَكَان»

أَجَابَ الْبَدِينُ مُتَحَمِّساً : « هٰـذِهِ فِكْـرَةٌ مُدْهِشَة ! » .

وَهكَذَا سَارَ الرَّجُلُ الْبَدِينُ جِدًّا ، الْقَوِىُّ جِدًّا مَعَ الْفَتَى « محظوظ » .

وَفَجْأَةً ، تَأَلَّقَتْ أمامَ عَيْنَىْ « محظوظ » هالَةٌ مِنَ الضَّوء ، تَبْتَسِمُ

خِلاَلَهَا سَيِّدَةٌ جَمِيلَةٌ ، تَـرْكَبُ حِصَاناً أَبْيَض .

وَاصَلَ « محظوظٌ » سَيْرَهُ مَعَ الرَّجُلِ الْبَدِينِ الْقَوِىِّ ، فى الطَّرِيقِ إِلَى مَدِينَةِ الْأَمِيرَة . وَفَجْأَةً ، أحَسَّا بِرِيحٍ عَنِيفَة ، كادَتْ تَحْمِلُهُمَا فى الْهَوَاءِ .

وتَـوَقَّفَ « محظوظٌ » مع تَابِعِـه ، لِلْبَحْثِ عنِ وَسِيلَةٍ للاحْتِمَاءِ مِنَ الْعاصفةِ ، فَشَاهَدَا سَبْعَ طواحينَ هَوائِيَةٍ تدور أجنِحَتُها بِسرعةٍ عظِيمَة ، وبِالقربِ مِنْها يَجْلِسُ رَجُلٌ قَدْ سَدَّ فَتْحَةَ أَنْفِهِ الْيُمْنَى بِأَصابِـعِ يَدِهِ ، وَظهَـرَتْ أُذُنُهُ الْيُسْرَى كَبِيرَةً جِدًّا كَأَنَّها أُذُنُ فِيل .

وَعِنْـدَما رَأَى ذلِكَ الرجلُ صِرَاعَ « محظوظٍ » وزميلِهِ مَعَ الْعَاصِفَة ، أَنْـزَلَ يَدَهُ عَنْ أَنْفِهِ . وَفِى الْحَالِ ، هَدَأَتِ الْعَاصِفَة ، وَتَـوَقَّفَتْ أَجْنِحَةُ الطَّوَاحِينِ عَنِ الدَّوَرَانِ . وَلَمْ يَسْتَطِعْ « محظوظٌ » أنْ يَجِدَ تَفْسِيراً لِهذا ، فصاحَ : « ما حِكَايَتُكَ أَيُّها الرَّجُلُ ؟ » .

أجابَهُ : « أَعْمَلُ طَحّاناً يا سَيِّدِى . إذا هَدَأَتِ الرِّيح ، ولَمْ تَعُدْ تَكْفِى لِدَفْعِ أَجْنِحَةِ الطَّوَاحِين ، أَرْفعُ يَدِى إِلَى أَنْفِى ، وَأَسُدُّ فَتْحَتَها الْيُمْنَى ، فَيَنْدَفِعُ الْهَوَاءُ مِنَ الْفَتْحَة الْأُخْرَى بِقُوَّةٍ وَسُرْعَةٍ كما شاهدْتُم » .

وَكَانَتْ دَهْشَةُ « محظوظٍ » لاتِّساعِ أُذُنِ الرَّجُلِ ، أَكْـبَرَ مِنْ

دَهْشَتِهِ لِقُدْرَةِ أَنْفِهِ عَلَى إِثارَةِ الْعَوَاصِفِ . وَقَدْ تَنَبَّهَ الرَّجُلُ إِلَى أَنَّ « محظوظاً » يُحَمْلِقُ بِشِدَّةٍ فِى أُذُنِهِ فَضَحِكَ وقال :

– « لَقَدْ وَهَبَنِى اللهُ أَنفاً عَجِيباً أَعملُ بِهِ ، وأُذناً أَكْثَرَ غرابَةً أَتَسَلَّى بِهَا ! » .

فصاحَ « محظوظٌ » فِى دَهْشَةٍ : « وَكَيْفَ تَتَسلَّى بِأُذُنِك ؟ ! »

فَأَجَابَ الرَّجُل : « هكَذَا . . » . وَأَسْرَعَ يرْكعُ عَلَى الْأَرْض ، وَيَحْنِى رَأْسَهُ إِلَى أَسْفَل ، حَتَّى الْتَصقَتْ أُذُنُهُ الْكَبِيرَةُ بِالتُّراب .

سَأَلَهُ الْفَتَى فِى حَيْرَة : « ماذا تَفْعَل ؟ » . أجابَ الـرَّجُلُ : « أُصْغِى وَأَسْمَعُ » . سألَهُ الْفَتَى : « وَمَا الَّذِى تُصْغِى إِلَيْهِ ؟ » أجابَ الرَّجُلُ ذو الأنفِ الْمُثِيرِ لِلعَوَاصِفِ وَالْأُذنِ الْكَبِيرَة :

– « أَسْمَعُ صَوْتَ الْأَشْجَارِ وَهِىَ تَنْمُو وَصَوْتَ السَّمكِ وَهُوَ يَسْبَح ، وتَغْرِيدَ الطُّيورِ فِى الْبِلادِ الْبَعِيدَة . هذهِ أَعْظَمُ تَسْلِيَةٍ يَتمَتَّعُ بِهَا إِنْسَانٌ » .

وَفِى لَهْفَةٍ سَأَلَهُ « محظوظٌ » : « أَخْبِرْنِى إِذَنْ مَاذا تَسْمَعُ فى قَصْرِ الْأَمِيرَةِ الْجَمِيلَة ، الَّتِى تَعِيشُ مع الْمَلِكَةِ الْعَجُوز » . أجَابَ الرَّجُلُ وَهُوَ لا يَزَالُ يَتَسَمَّعُ بِأُذُنِهِ عَلَى الْأَرْض : « أَسْمَعُ الْأَمِيرَةَ تَبْكِى ، لِأَنَّ

شاباًّ مِسْكِيناً آخَرَ قَدْ سَجَنَهُ جُنُودُ الْمَلِكَةِ الْعَجُوز » .

وَوَجَدَ الْفَتَى أَنَّ هـذا الرَّجُلَ قَدْ يَكُونُ نافِعاً لَـهُ ، فَسَأَلَهُ : « هَلْ هَذِهِ الطَّوَاحِينُ مِلْكٌ لَكَ ؟ » . أجابَ الرَّجُلُ ساخِطاً : « كَلّا . إِنَّ صاحِبَها رَجُلٌ بَخِيل ، يُعْطِينِي أَجْراً قَلِيلاً . » قالَ « محظوظ » : « هَلْ تَقْبَلُ يا صاحِبَ الْأُذُنِ الْهَائِلَةِ وَالْأَنْفِ الْمُثِيرِ لِلْعَواصِف ، أَنْ تُصْبِحَ واحِداً مِنْ أَتْباعِي ؟ » . أجاب الرَّجُلُ : « أنا أُرَحِّبُ بِصُحْبَتِكَ ، فَأَنْتَ شابٌ طَيِّب » وَفِى تِلْكَ اللَّحْظَة ، رَأَى « محظوظٌ » عَيْنَيْنِ جَمِيلَتَيْن ، تُطِلاَّنِ عَلَيْهِ فِى فِى حَنَان ، وَسَطَ هَالَةٍ مِنَ النُّور . .

فَمَلأَت السَّعَادَةُ قَلْبَهُ ، وواصَلَ سَيْرَه .



* * *

وَقَابَلَتْ جَمَاعَةُ « محظوظٍ » رَجُلاً ثالثاً ، يُغَطِّى عَيْنَيْهِ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْخَشَبِ ، فَسَأَلَهُ « مَحْظوظٌ »

- « لِمَاذَا تُغَطِّي عَيْنَيْك ؟ هل أَصابَهُمَا مَرَض ؟ » وَقَالَ صَاحِبُ الأُذنِ الْهَائلَةِ : « لَعَلَّ الضَّوْءَ الشَّدِيدَ يُؤْذِى بَصَرَه » .

وَتَقَدَّمَ الرَّجُلُ الْبَدِينُ الْقَوِيُّ قائلاً : « أَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَعْمَى ، وَلاَ يُرِيدُنَا أَنْ نَرَى عَيْنَيْهِ الْمُغْلَقَتَيْن ! »

وَأَخِيراً قالَ الرَّجُلُ : « بَلْ إِنَّنِي أَرَى ، وَأَرَى جَيِّداً . . بَلْ أَرَى أَفْضَل مِنْ كلِّ النَّاس . . ! أَرَى فِي النَّهارِ وَ فِي اللَّيْل . . . أَرَى الْأَشْيَاءَ الصَّغِيرَةَ جِدًّا وَالْبَعِيدَةَ جِدًّا . . بَلْ يَخْتَرِقُ بَصَرِى الْجُدْرَانَ وَالْمَاءَ والْأَخْشَاب . لا يَقِفُ أمَامَ بَصَرِى بُعْدُ الْمَسَافَةِ أَوْ حواجِزُ الْأَشْيَاء . إِذَا رَفَعْتُ قِطْعَةَ الْخَشَبِ عَنْ عَيْنَيّ ، أَرَى كُلَّ شيءٍ إِلى مَسَافَةِ مِائَةِ مِيلٍ . وَإِذَا أَرَدْتُ النَّظَرَ إِلَى الْأَشْيَاءِ الْقَرِيبَةِ مِنِّى ، أَضعُ قِطْعَةَ الْخَشَبِ فَوْقَ عَيْنَيّ » .

قالَ لَهُ « محظوظ » : « لَوْ أَنَّك تَعْمَلُ مَعَ أَحَد الْجُيُوش ، لاستَطَعْتَ أَنْ تَكْشِفَ كُلَّ أَسْرَار الْأَعْدَاء ! » . فَقَالَ حادُّ الْبَصَر :

« وَإِذَا عَمِلْتُ مع فَتًى ذَكِيٍّ مِثْلِك ،قَدَّمْتُ لَهُ خَدَمَاتٍ كَثِيرَة ! »

قالَ لَهُ « محظوظ » : « تَعالَ معى لِتَنْضَمَّ إِلَى أَتْبَاعِي » . . .



ولِلْمرَّةِ الثَّالِثَةِ ، شاهَدَ « محظوظٌ » الْحِصانَ الْأَبْيَض ، وَراكِبَتُهُ تُلَوِّحُ لَهُ وَسطَ هَالَةِ الضَّوْء ، فَابْتَسَمَ وواصَلَ سَيْرَه .

* * *

فِى أَثْنَاءِ سَيْرِ « محظوظٍ » مَعَ أَتْبَاعِهِ ، شاهَدُوا شَيْئَيْنِ طَوِيلَيْنِ مُمَدَّدَيْنِ عَلَى جانِبِ الطَّرِيقِ ، فَقَال « محظوظٌ » :

– « يَبْدُو أَنَّهُمَا شَجَرَتَانِ عالِيَتَان ، قَدْ أَسْقَطَتْهُمَا الرِّيح . . . ومَعَ ذلكِ ، فَإِنَّ شَكْلَهُمَا يَخْتَلِفُ عَنِ الْمَظْهَرِ الْمُعْتَادِ لِجُذُوعِ الْأَشْجَار ! »

واقْتَربَ الرَّجُلُ الْبَدِينُ مِمَّا ظَنَّهُ « محظوظٌ » جِذْعَ شَجَرَةٍ ، وقال :



« غَريبٌ أَنْ يُغَطِّيَ الشَّعرُ جُذُوعَ الشَّجَرِ ! » هُنَا ضحِكَ الرَّجُلُ صاحِبُ الْأُذُنِ الْهائِلَةِ وَقالَ : « هَذِهِ لَيْستْ جُذُوعَ أَشْجارٍ . . إِنَّهما ذِراعَا رَجُل ، وأَنا أَسْمَعُ صَوْتَ تَنَفُّسِهِ بِوُضُوح » . وَلَقَدْ كَانَتَا حقًّا أَطْوَل ذِراعَيْنِ شَاهَدَهُمَا « محظوظ » فِي حَيَاتِهِ . وَبَعْدَ أَنْ سَارَ « محظوظٌ » مَسَافةً طَويلَة ، وَصَلَ إِلَى رأْسِ صاحِبِ الذِّراعَيْنِ فسأَلَه :

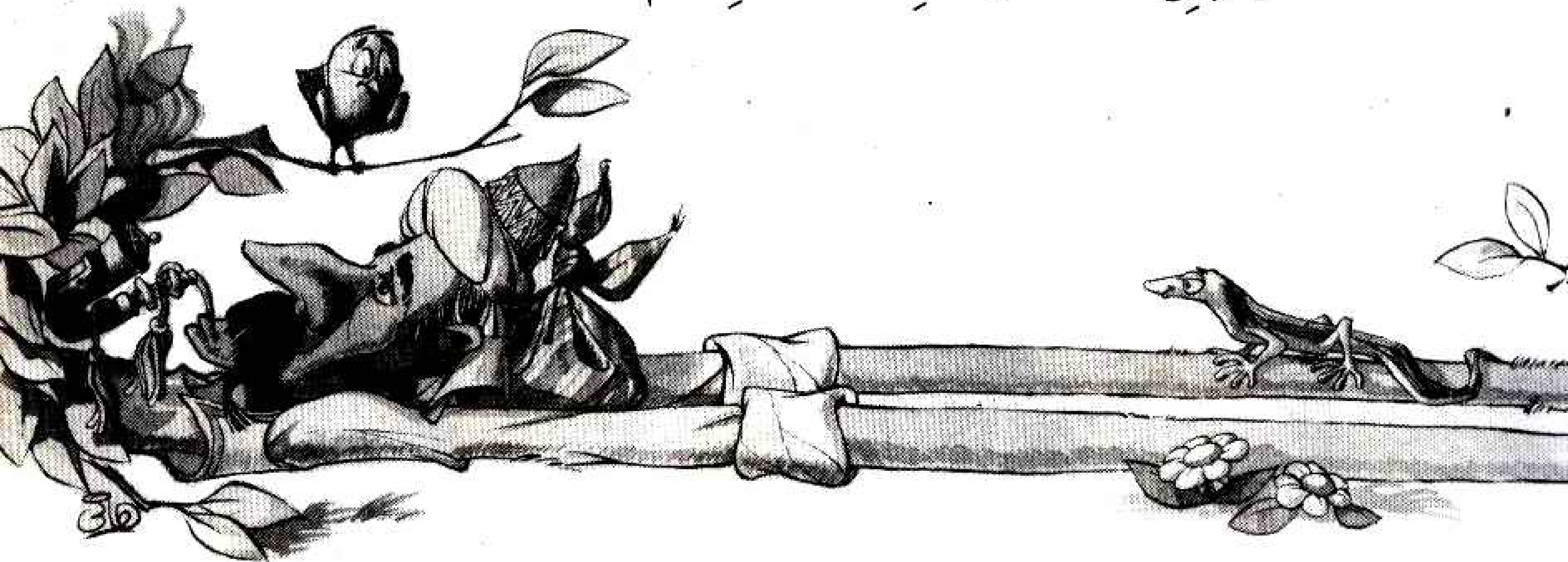
– « ألا يُضايِقُكَ أَنْ تكُونَ ذِراعَاكَ بِمِثْلِ هَذَا الطُّول ؟ » .

ابْتَسَمَ الرَّجُلُ وَأَجَاب : « بَلْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَجْعَلَهُمَا أَكْثَرَ طُولاً » .

قَالَ لَـهُ « محظوظٌ » : « هَلْ تُحِبُّ أن تَنْضَمَّ إِلَى صُحْبَتِنَا ؟ » .

أجابَ صاحِبُ الذِّراعَيْنِ الطويلَتَيْنِ ، وقد جعَلَهُمَا أقصرَ مِمَّا كانَتَا :

– « ولَكِنَّنِي سَأَضْطَرُّ دائِماً أَنْ أَسْبِقَكُمْ ! . »





ضَحِكَ «محظوظٌ» وَقَالَ :
« لِمَاذَا ؟ هَلْ تَسِيرُ عَلَى يَدَيْكَ؟» أَجابَ الرَّجُلُ باسِماً : « إِنَّ قُدْرَتِى الْحَقِيقِيَّةَ لَيْسَتْ فِى ذِرَاعَىَّ ، انَّمَا فِى سَاقَىَّ » .

وَقَفَزَ الرَّجُلُ واقِفاً ، لَكِنَّهُ اخْتَفَى فِى مِثْلَ لَمْحِ الْبَصَر ، وَساقَاهُ تَتَحَرَّكَانِ بِسُرْعَةٍ تَعَذَّرَ مَعَهَا عَلَى « محظوظٍ »أنْ يَرَاهُمَا. وقَبْلَ أنْ يُفِيقَ الْفَتَى مِن دَهْشَتِهِ ، شاهَد الرَّجُلَ يَعُودُ ، عَلَى مَهَلٍ هَذِهِ الْمَرَّة ، لَكِنْ عَلَى هَيْئَةٍ غَرِيبَةٍ جِدًّا ! ! كَانَ يَنُطُّ عَلَى ساقٍ واحِدَةٍ ، وَقَدْ رَفَعَ الثَّانِيَة

أَمامَ صَدْرِه ، وأَسْنَدَ قَدَمَهَا على كَتِفِهِ ، فَأَصْبَحَ شَكْلُهُ مِثْلَ الْجَـــرَادَةِ !

وَضَحِكَ « محظوظٌ » وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ ما يَفْعَـل ، فَأَجَابَهُ :

« إذا أَنْـزَلْتُ هَذِهِ السَّاقَ ، فَسَأَقْفِزُ فِى كُلِّ خُطْـوَةٍ مِائَةَ مِيلٍ » .

سَأَلَهُ « محظوظٌ » : « وَلِمَاذَا وجَدْنَاكَ جَالِساً وَحِيداً بِجِوَارِ الطَّرِيق ؟ »

أجابَ الرَّجُلُ ذُو الذِّراعَيْنِ الطَّوِيلَتَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ السَّرِيعَتَيْن :

« كُنْتُ أَعْمَلُ فِى خِدْمَةِ أميرٍ ، وَكَلَّفَنِى بِرِحْلَةٍ طَوِيلَةٍ أَعُودُ مِنْهَا خِلاَلَ ساعَةٍ . وَبِسَبَبِ إِجْهَادِى نِمْتُ فِى الطَّرِيق ، فَطَـرَدَنِى مِـنْ خِدْمَتِهِ ... فَهَلْ أجدُ عِنْدَكَ عَمَلا أَيُّهَا الْفَتَى الشُّجاع ؟ » فقالَ لَهُ «محظوظٌ»

« أَنْتَ مُنْذُ الْآنَ مِنْ أَتْـبَاعِى ، بِشَرْطِ أَلاَّ تَنَامَ وَقْتَ الْعَمَل ! »

وَهـكَذا صاحَبَ الرَّجُلُ الْجمَاعَةَ ، وَهُوَ يَقْفِزُ عَلَى قَدَمٍ واحِدَةٍ ، وَبيْنَ وَقْتٍ وآخَـرَ يُنْزِل قَدَمَهُ الْأُخْـرَى ، ويَعْدُو مِئاتِ الْأَمْيَالِ ثُمَّ يَعُودُ كَالْـبَرْق ، وذَلِكَ لِيُنَشِّطَ ساقَيْه .

وَخُيِّلَ « لمحظوظ » أَنَّهُ يُشاهِدُ هالَةً مِنَ النُّورِ عَلَى شَكْل امْـرَأَةٍ تَـرْكَبُ حِصَاناً أَبْيَض . وَأَلْقَتِ السَّيِّدَةُ نَظْـرَةَ تَشْجيعٍ عَلَى « محظوظٍ »

مَلأَتْهُ ثِقَةً فِى الْمُسْتَقْبَل ، فَواصَلَ سَيْرَهُ بِنَشاطٍ مَعَ أَصْدِقائِهِ الْجُدُد . .

* * *

وَاشْتَدَّتْ حَرَارَةُ الشَّمْسِ ، لِذَلِكَ كَانَتْ دَهْشَةُ « محظوظٍ » شَدِيدَةً عِنْدَمَا شاهَدَ رَجُلاً يَجْلِسُ عَلَى جِذْعِ شَجَرَةٍ ، وَقَدِ ارْتَدَى مِعْطَفَيْنِ فَوْقَ ثِيَابٍ صُوفِيَّةٍ ثَقِيلَة . وَتَقَدَّمَ « محظوظٌ » نَحْوَ الرَّجُلِ وَسَأَلَهُ :

– « لِمَاذا تَرْتَدِى كُلَّ هذِهِ الثِّيَابِ فِى هذا الحَرِّ الشَّدِيد ؟ » .

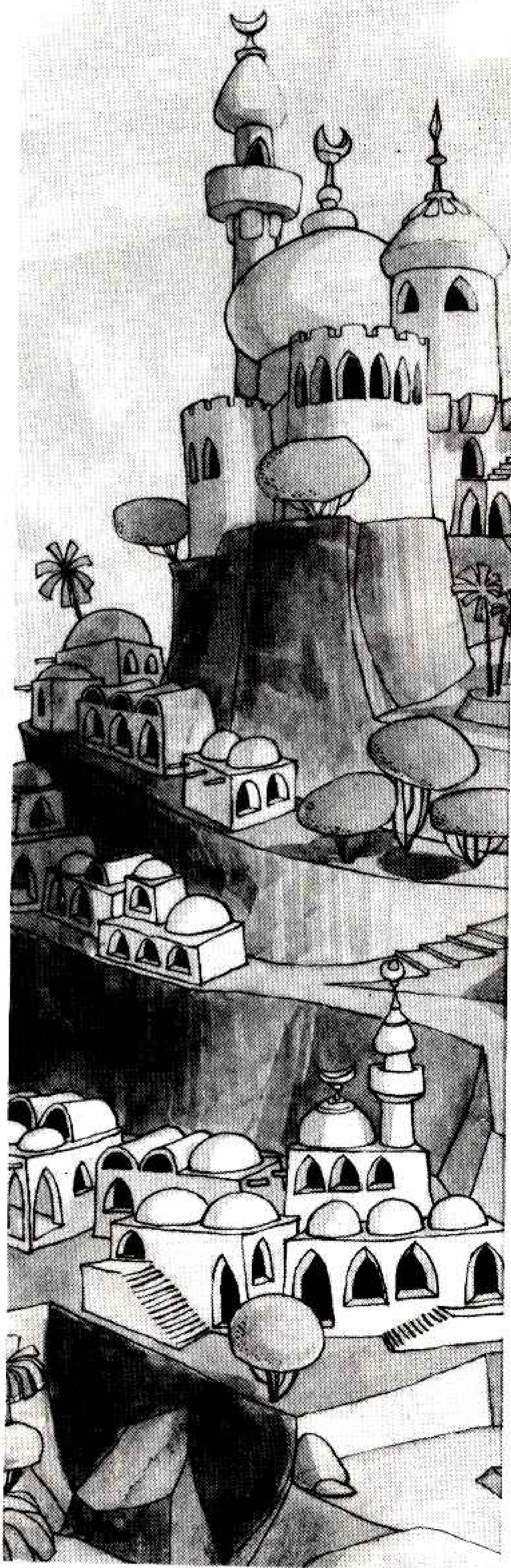
فَأَجَاب الرَّجُلُ : « لأَنَّنِى أَخْتَلِفُ عَنْكُمْ جَمِيعاً . فَأَجْسَامُ النَّاسِ دافِئَةٌ ، وَلكِنَّ جِسْمِى بارِد . إِنَّهُ يَشِعُّ حَوْلِى بُرودَةً قارِسَةً ! »

فَسَأَلَهُ « محظوظٌ » ودَهْشَتُهُ تَتَزَايَد :

– « وَلِمَاذَا لا تَفُكُّ أَزْرارَ مِعْطَفِكَ الثَّقِيل ؟ » أجابَ الرَّجُلُ ذُو الجَسَدِ البارِدِ :

– « إذا فَكَكْتُ أَزْرارَه ، فَسَتَنْخَفِضُ الحَرَارَةُ حَوْلِى ، وَيَتَساقَطُ الْجَلِيد ، وَتَتَجَمَّدُ أَنْتَ وَأَصْحَابُك » .





قالَ « محظوظ » :

- « أَنْتَ أُعْجُوبَةٌ نادِرَة ، تعالَ لِتَنْضَمَّ إِلَى أتباعِي » .

ولِلَحْظَةٍ قَصِيرَةٍ ، أَحَسَّ «محظوظٌ» بِضَوْءٍ لَطِيفٍ يَغْمُرُهُ هُوَ وَأَتْبَاعَهُ ، وَتَرَامى إِلَيْهِ صَوْتٌ يَقُول : « تَقَدَّم ! . . . » .

* * *

بَعْدَ سَفَرٍ طَوِيل ، وَصَلَ «محظوظٌ» مَعَ زُمَلائِهِ الْخَمْسَةِ إِلَى مَدِينَةٍ عَظِيمَةٍ ، بُيُوتُها بَيْضاء ، وَنَوافِذُها كَبِيرَةٌ ، وَطُرُقَاتُها مُتَعَرِّجَةٌ ، يَتَوَسَّطُهَا قَصْرٌ كَبِيرٌ ذُو قِبابٍ عالِيَةٍ .

وَعَلَى الْفَوْرِ أَدْرَكَ « محظوظٌ » أَنَّها



مَدِينَةُ الْأَمِيرةِ ، فَقَدْ أَفَاضَ فِى وَصْفِهَا مَنْ سافَرُوا إِلَيْهَا مِنْ أَهْلِ مَدِينَتِه .

وَأَبْعَدَ الرَّجُلُ ذُو الْبَصَرِ الْحادِّ قِطْعَةَ الْخَشَبِ عَنْ عَيْنَيْه ، فَشاهَدَ



الْأَميرَةَ تُطِلُّ مِنْ نافِذَةِ غُـرْفَةٍ فِى بُـرْجٍ مُرْتَفِعٍ فَـوْقَ الْقَصْرِ الذَّهَبِى .

وَأَمْسَكَ صاحِبُ الذِّراعَيْنِ الطَّويلَتَيْنِ « بمحظوظٍ » ، وَرَفَعَهُ فَوْقَ أَسْوارِ



الْقَصْرِ ، فَاسْتَطَاعَ
أنْ يَتَأَمَّلَ وَجْهَهَا
الَّذِى ظَهَرَ واضِحاً
مِنْ خِلاَلِ النَّافِذَة .
وكَمْ أدْهَشَهُ جمالُها ،
وَآلَمَهُ حُزْنُها ، حَتَّى
لَقَدْ أَصْبَحَ أَكْثَرَ تَصْمِيماً عَلَى إنْقَاذِهَا مِنْ سَيْطَرَةِ الْعَجُوز .

وسُرْعَانَ ما تَوجَّهَ إلَى المَلِكَة ، وَقالَ لَهَا : « لَقَدْ جِئْتُ أخْطُبُ الأَمِيرَةَ ، فَمَاذا تَطْلُبِينَ مِنِّى ؟ » أجابَتِ الْمَلِكَةُ الْعَجُوز : « هُنَاكَ ثَلاثُ مَهامَّ يجبُ أَنْ تُؤَدِّيها » .

قالَ « محظوظٌ » :

« وَمَا المُهِمَّةُ الأُولَى ؟ » أجابَتِ الْمَلِكَة : « كان عِنْدِى خَاتَمٌ جَمِيلٌ ثَمِينٌ ، سَقَطَ فِى بِئْرٍ عَمِيقَةٍ ، وَالْبِئْرُ فِى حَدِيقَةٍ تَبْعُدُ عَنْ هُنَا مِائَةَ مِيل . يَجِبُ أَنْ تُعِيدَ الْخَاتَمَ قَبْلَ غُرُوبِ شَمْسِ الْيَوْمِ ، وَإلا

حَمَلَتْكَ سَفِينَةُ السِّجْنِ إِلَى جَزِيرَةِ الْمَاعِزِ والأَغْنَام وَسَطَ الْبَحْر » .

عادَ الْفَتَى « محظوظ » إلى أتْباعِه ، وقَصَّ عَلَيْهم ما قالَتْهُ المَلِكَةُ الْعَجُوز . وقَبْلَ أَنْ يُنْهِى حَدِيثَه ، كان الرَّجُلُ السَّرِيعُ صاحِبُ الذِّراعَيْنِ الطَّوِيلَتَيْنِ قَدْ أَنْزَلَ قَدَمَهُ مِنْ فَوْقِ كَتِفِه ، وَغَابَ عَنْ عُيُونِ الْجَمِيع . وَبَعْدَ قَلِيل ، وَضَعَ الرَّجُلُ ذُو الأُذنِ الْهَائِلَةِ أُذُنَهُ عَلَى الأَرْضِ وصاحَ :

– « الرَّجُلُ السَّرِيعُ يَقُولُ إِنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ الْعُثُورَ عَلَى الْخَاتَم ! » .

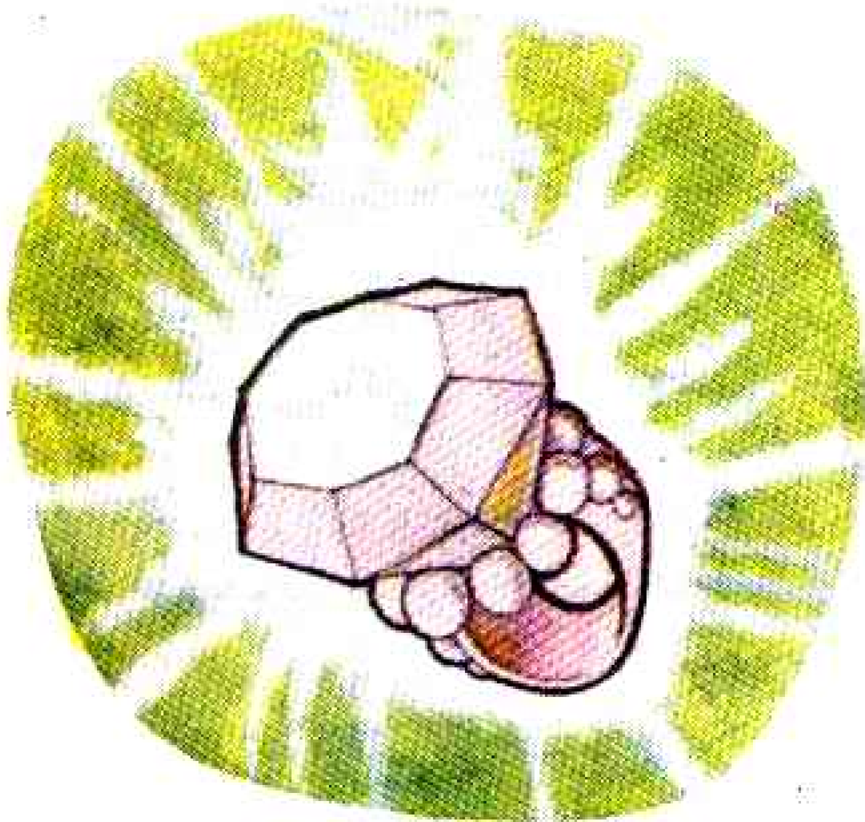
وَهَتَفَ « محظوظٌ » : « لَقَدْ ذَهَبَ إِلَى الْبِئْرِ دُونَ أَنْ نُحَدِّدَ لَهُ مَكَانَ الْخَاتَم ! » . هُنَا رَفَعَ الرَّجُلُ الْحَادُّ الْبَصَرِ قِطْعَةَ الْخَشَبِ عَنْ عَيْنَيْهِ وقال : « أَرَى الرَّجُلَ السَّرِيعَ يَمُدُّ ذراعَيْهِ الطَّوِيلَتَيْنِ داخِلَ الْبِئْرِ ، وَسَطَ أَكْوامِ الْحِجَارَةِ والطِّينِ الَّتِي تُخْفِي كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ الْمَاء . إِنَّ أَصابِعَهُ تَدُورُ حَوْلَ مَكَانِ الْخَاتَمِ الَّذِى أَراهُ مُخْتَفِياً



تَحْتَ قِطْعَةِ حَجَرٍ صَفْرَاء ، وَلَكِنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ الْعُثُورَ عَلَيْهِ . . . الآنَ أَرَى صَدِيقَنَا السَّرِيعَ يَبْتَعِدُ عَنِ الْبِئْرِ . . »

وانْتَابَ الْقَلَقُ « محظوظاً » ، لَكِنَّ الرَّجُلَ السَّرِيعَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ عاد ، وَعَلَى وجْهِهِ كُلُّ عَلاماتِ الْخَيْبَةِ لِعَدَمِ نَجَاحِهِ فِى مُهِمَّتِهِ.لكِنَّ الْحَادَّ الْبَصَرِ سُرْعَانَ ما وَصَفَ لَهُ مَكَانَ الْخَاتَم ، فَعَادَ الرَّجُلُ السَّرِيعُ دُونَ تَمَهُّلٍ إِلَى الْبِئْرِ ، وَشَاهَدَهُ الحادُّ الْبَصَر يُزِيحُ قِطْعَةَ الْحَجَرِ الصَّفْرَاءَ ، وَيَبْحَثُ فِى الطِّينِ الْمُتَرَاكِمِ تَحْتَهَا بِأَصابِعِهِ النَّحِيلَةِ ، وسُرْعَانَ مَا أَخْرَجَ ذِرَاعَيهِ وَالخَاتَمُ بَيْنَ أَصابِعِه .

وَاطْمَأَنَّ « محظوظٌ » أَنَّ الرَّجُلَ سَيَعُودُ سَريعاً ، فَجَلَس يَقْطَعُ الْوَقْتَ مَعَ أَتْبَاعِهِ فِى الْحَدِيثِ وَالسَّمَر .



فَجْأَةً ، تَنَبَّهَ الْفَتَى أَنَّ قُرْصَ الشَّمْس أَخَذَ يَتَحَوَّلُ إِلَى اللَّوْنِ الْأَحْمَر ، دُونَ أَنْ يَعُودَ الرَّجُلُ السَّرِيع .

وَرَفَعَ الحَادُّ الْبَصَرِ قِطْعَةَ الْخَشَبِ عَنْ

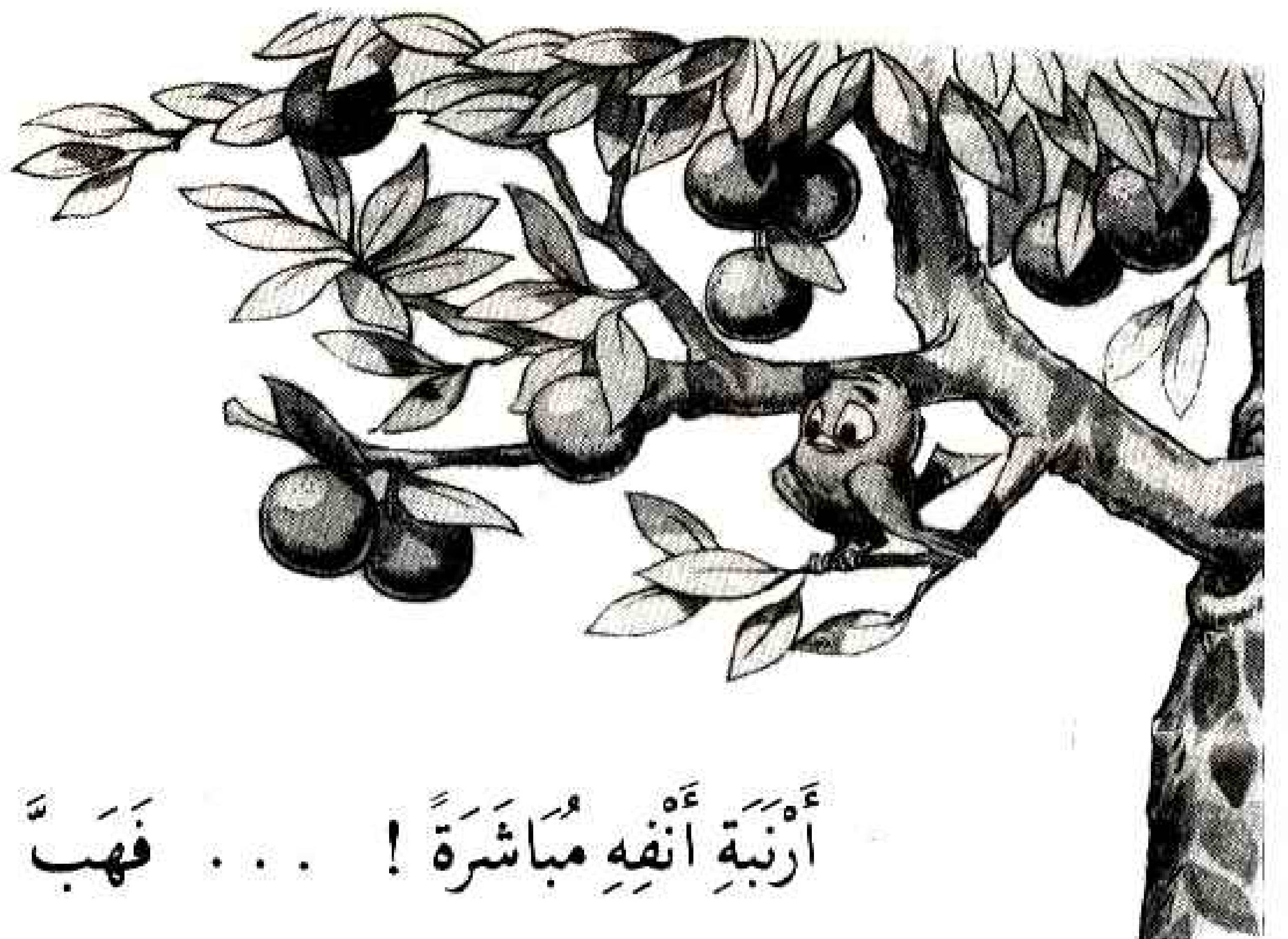


عَيْنَيْهِ وَهَتَفَ : « أنا أراه .
لَقَدْ جَلَسَ تَحْتَ شَجَرَةِ
بُرْتقَالٍ بِجوَارِ الْبِئْر ، وَغَلَبَهُ
النُّعَاسُ فَنَام ! ! » .

وهُنَا صَرَخَ « محظوظٌ » :

– « يجِبُ إيقاظُـــهُ
فَوْراً ، إنَّ الشَّمْسَ تَغِيب »...

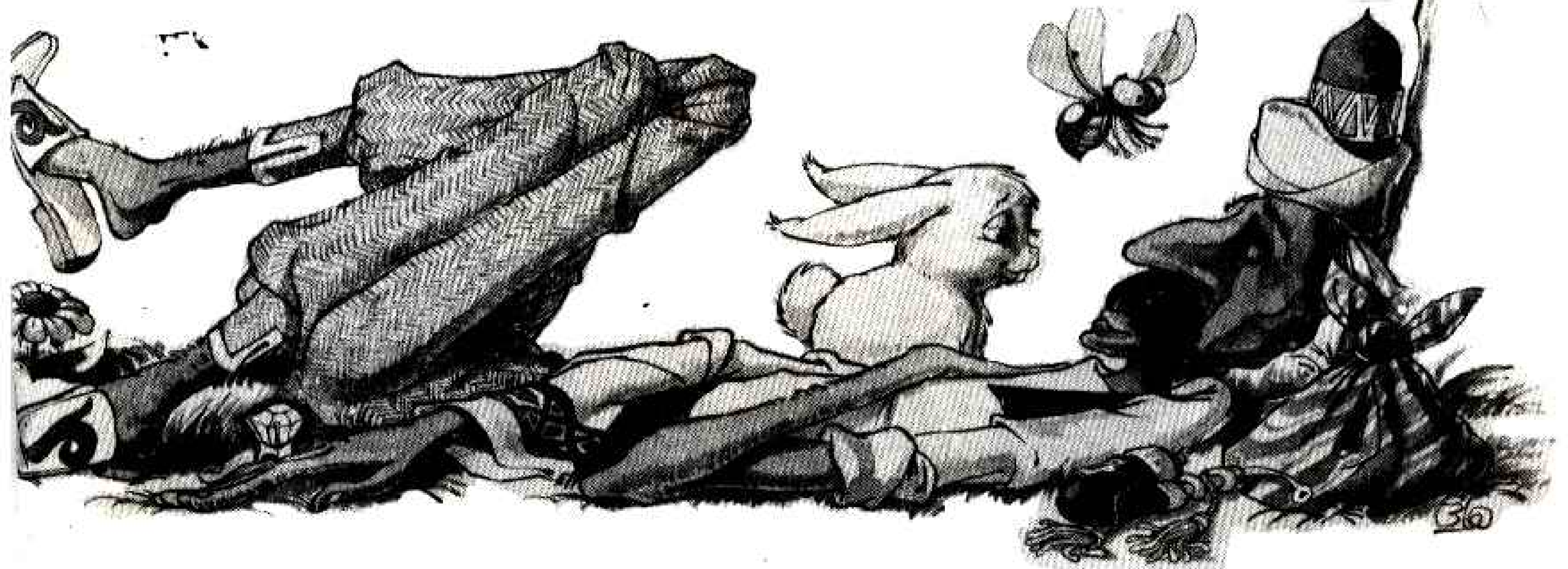
وَأَسْرَعَ صاحِبُ الْأَنْفِ
الْمُثِيرِ لِلْعَواصِفِ ، فَسَدَّ
فَتْحَةَ أنْفِهِ . وعَلَى الْفَوْرِ
هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ،
انْدَفَعَتْ نَحْوَ البِئْـــرِ .
وَأَخَذَ الْهَوَاءُ يَهُزُّ بِقُوَّةٍ
أَغْصَانَ شَجَرَةِ الْبُرْتُقَالِ ،



الّتِي يَنامُ تَحْتَها الـرَّجُلُ السَّرِيعُ ، فَسَقَطَتْ بُرْتُقَالَةٌ كَبِـيرَةُ الْحَجْمِ فَوْقَ أَرْنَبَةِ أَنْفِهِ مُبَاشَرَةً ! . . . فَهَبَّ مِنْ نَوْمِهِ فَزِعاً ، وَأَسْرَع عائداً بخُطُواتِهِ الْجَبَّارَةِ إِلَى «محظوظ».

و كَمْ غَضِبَتِ الْمَلِكَةُ الْعَجُوزُ عِنْدَما وَجَدَتْ «محظوظاً» يدخل قصرَهَا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ بِلَحَظَاتٍ ، وَهُوَ يُمْسِكُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ خَاتَمَهَا الْجَمِيلَ الثَّمِين ، وَيَقُولُ مُبْتَسِماً مَسْروراً :

– «تَفَضَّلِي يا سَيِّدَتِي . هـذا خاتَمُكِ الضائعُ»



أَحْضَرَهُ لَكِ الشَّاطِرُ « محظوظ ! » .

وَعِنْدَما اخْتَلَتْ الْمَلِكَةُ مَعَ نَفْسِهَا ، فكَّرت فِى غَضَبٍ : « يَجِبُ أَنْ أَبْحَثَ عَنْ مُهِمَّةٍ جَدِيدَةٍ صَعْبَةٍ ، أَعْهَدُ بِهَا إِلَى هـذا الْفَتَى الْغَرِيبِ » .

وَأَخَذَتْ تُفَكِّرُ ، وَلَمْ تَسْتَطِعِ النَّوْمَ طِوَالَ اللَّيْلِ لِكَثْرَةِ ما فكَّرت

* * *

فِى صَباحِ الْيَوْمِ التَّالِى ، اسْتَدْعَتِ الْمَلِكَةُ « محظوظاً » وَقَالَتْ لَهُ :

– « لا بُدَّ أَنَّكَ فِى حَاجَةٍ شَدِيدَةٍ إِلَى تَنَاوُلِ طَعامٍ جَيِّد ، بَعْدَ سَفَرِكَ الطَّوِيل . . . إنَّ عِنْدِى ثَلاثِينَ بَقَرَةً فِى حَظِيرَةٍ قُرْبَ الْقَصْرِ ، يَجِبُ أَنْ تأْكُلَهَا قَبْلَ غُروبِ الشَّمْس » . فَقَالَ لَهَا « محظوظٌ » :

– « هَلْ تَسْمَحِينَ أَنْ يُشارِكَنِى فِى الطَّعَامِ تابِعِى الَّذِى سَيَطْهُوهُ لِى؟ »

وَفَكَّرَتِ الْمَلِكَة : « إِنَّ خَمسَمِائَةِ رَجُلٍ لَنْ يَسْتَطِيعُوا أَكْلَ كُلِّ هذا الْعَدَدِ مِنَ الْبَقَر » . ثُمَّ قَالَتْ « لمحظوظٍ » : « أُوافِقُ عَلَى أَنْ يَقْتَصِرَ الْأَمْرُ عَلَى هذَا التابعِ وَحْدَه ! » .

وعاد « محظوظٌ » إِلى أَصْدِقائِه ، وَطَلَبَ مِنَ الرَّجُلِ الْبَدِينِ أَنْ

يَذْهَبَ مَعَهُ إلَى الْحَظِيرَة .

وَسُرْعَانَ ما الْتَهَمَ الرَّجُلُ الْمَاشِيَةَ كُلَّهَا ، كَذلِكَ أَكَل كُلَّ مَا لَدَى الْمَلِكَةِ مِنْ دَجَاجٍ ، وَلَمْ يَتْرُكْ لَهَا بَطَّةً أَوْ إوَزَّة . ثُمَّ أَخَذَ يَتَسَلَّى بِأكْلِ الْخُبْزِ ، إلَى أَنْ أَصْبَحَ الْقَصْرُ خَالِياً مِنْ أىِّ طَعَام !

وحانَ مَوْعِدُ الْغَدَاء ، فَذَهَبَتِ الْمَلِكَةُ وَجَلَسَتْ أمامَ الْمَائِدَة .



وَانْتَظَرتِ الطَّعَامَ وَقْتاً طويلاً ، وَطَالَ انْتِظَارُهَا دُونَ جَدْوَى . وَعِنْدَئذٍ أَرْسَلَتْ تَسْتَدْعِي الطَّاهِيَ وَسَأَلَتْهُ غاضِبَةً :

– « لِمَاذا لم تَقُمْ بإِعدادِ الطَّعَامِ الْيَوْمَ فِى مَوْعِدِه ؟ ! » . أجابَ الطَّاهِي وَهُوَ يَرْتَجِفُ مِنَ الْخَوْف :

– « لَقَدِ الْتَهَمَ رجُلٌ بَدِينٌ جِدًّا كُلَّ ما بِالْمَنْزِلِ مِنْ طَعَامٍ وَطُيُورٍ ومَاشِيَة ، ولَمْ يَبْقَ أَىُّ شَىْءٍ يُؤكَلُ عَلَى الإطْلاق ! » .

وَأَخذَتِ الْمَلِكَةُ الْعَجوزُ تُطِيلُ التَّفْكِيرَ . وَأَخِيراً اهْتَدَتْ إِلَى أَمْرٍ فقَهْقَهتْ قائِلَة :

– « حَسنٌ . . . حسنٌ . . . لقد اهتديت إِلَى أمرٍ أطلُبُهُ مِنْهُ وَلاَ بُدَّ أَنْ يَقُومَ به هو نَفْسُهُ . لَنْ يُفْلِتَ مِنْ سِجْنِي هذِهِ المَرَّة » .

* * *

أَرْسَلَتِ الْمَلِكَةُ تَسْتَدْعِي « محظوظاً » فِى الْيَوْمِ الثَّالِث ، وقَالَتْ لَهُ :

– « أَرْجُو أَنْ تَقْبَلَ دَعْوَتِى لِتَنَاوُلِ الغدَاءِ مَعِي الْيَوْم . وَأَظُنُّكَ تُرَحِّبُ بِالْجُلُوسِ مَعَ الأَمِيرَةِ بَعْدَ الطَّعَام » . وأضافت فى خبث :



« يَجِبُ أَنْ تَحْرِصَ عَلَى أَلاَّ تَغِيبَ الْأَمِيرَةُ عن نَظَرِكَ ، وَإِذَا حَدَث ، وَلَمْ تَكُنْ الأَمِيرَةُ مَعَكَ عِنْدَ الْغُرُوبِ ، فَلاَ مَفَرَّ مِنْ سِجْنِكَ » .

أَجَابَ « مَحْظُوظٌ » فِى حَمَاسٍ : « لَنْ تَغِيبَ أَبداً عَنْ عَيْنَيَّ » .

وَأَسْرَعَ « محظوظٌ » فَارْتَدَى أفْخَرَ مَلابِسِهِ ، وذهب إلى قَاعَةِ الطَّعَام . وَهُنَاكَ أخذَ الْخَدَمُ يُحضِرونَ كثيراً من أنواعِ الطَّعَامِ وَالشَّرَاب ، ويُبَالِغُونَ فِى الْحَفَاوَةِ بِالضَّيْفِ الَّذِى نَفَّذَ طَلَبَيْنِ من أَشَقِّ طَلَبَاتِ المَلِكَةِ الْقَاسِيَة .

وَانْتَهَزَتِ الْمَلِكَةُ لَحْظَةً ، كان « محظوظٌ » يَطْلبُ فِيهَا مِنْ أَحدِ الْخَدَم كُوباً مِنَ الْعَصِير ، فَوَضَعَتْ فِى الْكُوبِ مَسْحُوقاً مُخَدِّراً . وَبَعْدَ انْتِهاءِ الطَّعَامِ ، سار « محظوظٌ » خَلْفَ الْعَجُوز ، إِلَى أَنْ وَصَلاَ إِلَى غُرْفَةٍ فَوْقَ سَطحِ الْقَصْر. وَكَانَت الْأَمِيرَةُ تَجْلِسُ بِجِوارِ نافِذَةٍ تُطِلُّ عَلَى الْبَحْر ، وَقَدْ انْعَكَسَت الْأَضْوَاءُ عَلَى وَجْهِهَا ، فَبَدَتْ غَايَةً فِى الْجَمَالِ والبَهَاء .

وَجَلَسَ « محظوظٌ » على مَقْعَدٍ بِجِوارِ الْأَمِيرَة ، وَأَخَذَا يَتَجاذَبَانِ أَطْرَاف الْحَدِيث ، بَعْدَ أنْ تَرَكَتْهُمَا الْمَلِكَةُ الْعَجُوزُ . وكَمْ كَانَتْ الْأَمِيرَةُ سَعِيدَةً ، وَكَمْ كان « محظوظٌ » مُبْتَهِجاً .

لَكِنَّ ذلكَ لَمْ يَدُمْ طَوِيلاً ، فَقَدْ أَخَذَ « محظوظٌ » يُحِسُّ بِالنَّوْمِ يُثقِلُ أَجْفَانَه ، وَلَمْ يَعُدْ يَسْتَطِيعُ الاحْتِفَاظَ بِعَيْنَيْهِ مَفْتُوحَتَيْن . وسُرْعَانَ ما أَغْلَقَهُما ، وَرَاحَ فِى سُبَاتٍ عَمِيق . وَعِنْدَما فَتَحَ عَيْنَيْهِ ، بَعْدَ أَنْ زالَ عَنْهُ تأْثِيرُ الْمَسْحُوقِ الْمُخَدِّر ، لمْ تَكُنِ الْأَمِيرَةُ هُنَاك . لَقَدْ اسْتَغَلَّتِ الْمَلِكَةُ الْوَقْتَ الَّذِى اسْتَسْلَمَ فِيهِ « محظوظٌ » لِلنَّوْم ، وَأَخَذَتِ الْأَمِيرَةَ بَعِيداً عَنْهُ . وَلَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِى عَلَى الْغُرُوبِ غَيْرُ ساعَةٍ !

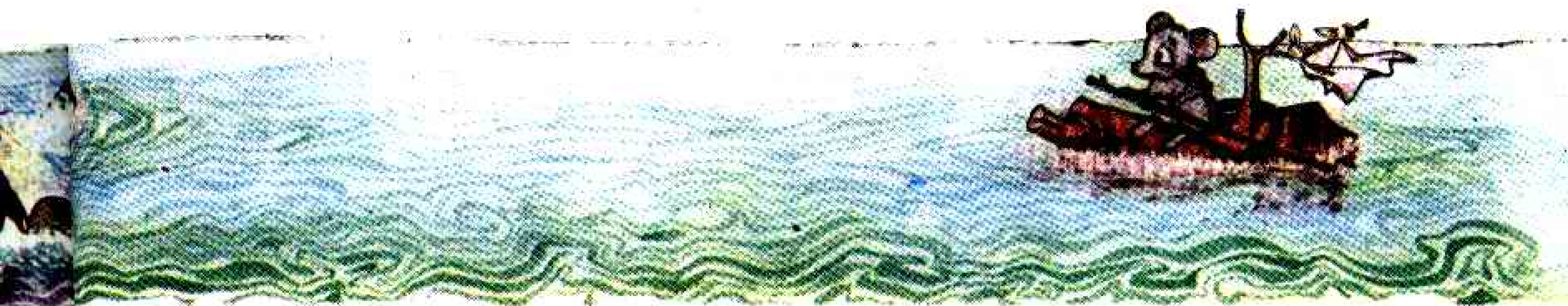
أَسْرَعَ « مَحظوظٌ » إِلَى نافِذَةِ الْغُرْفَةِ يَتطَلَّعُ خارِجَهَا ، فَشَاهَدَ الرَّجُلَ الْبَدِينَ مِنْ بَعِيدٍ ، وَأَخَذَ يُشِيرُ إِلَيْهِ ، ويَصِيحُ بِعبارات مُخْتَلِفَة ، وَالرَّجُلُ يَرَاهُ وَلا يَسْمَعُه . وَأَسْرَعَ الْبَدِينُ إِلَى صَاحِبِ الأُذُنِ الهائِلَةِ يُنَبِّهُهُ . وَهُنَا وَضَعَ الرَّجُلُ أُذُنَهُ الْكَبِيرةَ فَوْقَ الْأَرْضِ ، فَسَمِعَ « محظوظاً » يقول :

– « الْأَمِيرَةُ اخْتَفَتْ ! . . أمَامَنَا ساعَةٌ قَبْلَ غُروبِ الشَّمْسِ لإِعادَتِهَا . . ساعِدُونِى لِأُغادِرَ هَذِهِ الْغُرْفَةَ فَوْراً ! » .

ونَقَلَ ذُو الْأُذُنِ الْكَبِيرَةِ هَذِهِ الاستِغَاثَةَ إِلَى بَقِيَّةِ الْأَتْبَاعِ . . . وسُرْعَانَ ما أَطَالَ صاحبُ الذِّرَاعَيْنِ الطَّويلَتَيْنِ ذِراعَيْه ، وَأَنْزَلَ « محظوظاً » مِنَ النَّافِذَةِ . وَالْتَفَتَ « محظوظٌ » إِلَى صاحِبِ الْبَصَرِ الْحادِّ ، وَسَأَلَه :

– « أَلاَ تَسْتَطِيعُ أنْ تَرَى أيْنَ أخفَتِ الْمَلِكَةُ الْأَمِيرَةَ ؟ » .

ورَفَعَ الحادُّ الْبَصَرِ قِطْعَةَ الْخَشَبِ عَنْ عَيْنَيْهِ ، وَتَلَفَّتَ هُنَا وهُنَاك ،



ثم ثَبَّتَ نَظَرَهُ ناحِيَةَ الْبَحْرِ وقالَ :

- « لَقَدْ أَخْفَتْها داخِلَ شَجَرَةٍ مُجَوَّفَة ، فَوْقَ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الْبَعِيدَة ، وَتَرَكَتْها تَبْكِي ! » .



وَقالَ ذُو الْأُذُنِ الْكَبِيرَة :

- « إِنَّها تقولُ : أَيْنَ أَنْتَ يا أَمِيرُ « محظوظ » لِتُخَلِّصَنِي من الْمَلِكَةِ الْعَجُوز ! » .

فَصَاحَ « محظوظ » :

- « لابُدَّ مِنْ سَفِينَةٍ تَحْمِلُنَا إِلى تِلْكَ الْجَزِيرَة ، لِنُخَلِّصَ الأَمِيرة » .

هُنا اتَّجهَ الرَّجُلُ ذُو الجسَدِ البارِدِ نَحْوَ شاطِئِ الْبَحْر ، ونَزَلَ فِى الماء ، ثُمَّ فَكَّ أَزْرارَ مِعْطَفِهِ . وسُرْعَانَ ما اشتَدَّتِ الْبُرودَةُ وتَثَلَّجتِ الْمِيَاهُ وَتَجَمَّدَتْ ، وَتحَوَّلَ سَطْحُ الْبحْرِ إِلَى أَرْضٍ صُلْبَةٍ مِنَ الْجَلِيدِ الْأَبْيَضِ ، أَسْرَعَتْ فَوْقَهَا الْجَمَاعَةُ إِلَى الْجَزِيرَة .

وَاتَّجَهَ « محظوظٌ » إِلَى الشَّجَرةِ الْمُجَوَّفَة ، وَأَخْرَجَ الْأَمِيرَةَ مِنْ سِجْنِهَا الضَّيِّقِ ، ثُمَّ عاد مُسرِعاً إِلَى الْقَصْرِ مَعَ أَتْبَاعِه . وَهُنَاكَ أَعادَ ذُو الذِّرَاعَيْنِ الطَّوِيلَتَيْنِ الْأَمِيرَةَ و « محظوظاً » إِلَى الغُرْفَةِ العُلْوِيَّةِ مِنْ خِلال النَّافِذَة ، فِى اللَّحْظَةِ الَّتِى كَانَ فِيهَا قُرْصُ الشَّمْسِ يَخْتَفِى خَلْفَ الْأُفُقِ الْغَرْبِيِّ .



وَمَا إِنْ جَلَسَ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى مَقْعَدِهِ ، حَتَّى فُتِحَ الْبَابُ ، وَدَخَلَتِ

الْمَلِكَةُ . وَكَمْ كانَتْ دَهْشَتُهَا وَغَضَبُهَا ، عِنْدَما وَجَدَتِ الْأَمِيرَةَ فِى مَكَانِهَا الَّذِى كَانَتْ فِيهِ ، قَبْلَ أَنْ يَنَامَ « محظوظ » ، وَلَكِنَّهَا كَتَمَتْ غَيْظَهَا ، وَلَمْ تَقُلْ شَيْئاً . وَابْتَسَمَ « محظوظٌ » وَهُوَ يَقُولُ لِلْمَلِكَة :

– « لَقَدْ قَضَيْنَا وَقْتاً طَيِّباً ، تَحَدَّثْنَا خِلاَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَة . . . عَنْ الْجُزُرِ ، وَالْأَشْجَارِ الْمُجَوَّفَةِ ! » .

فَتَجَاهَلَتِ الْمَلِكَةُ مَعْنَى كَلاَمِهِ وَقَالَتْ :

– « لَقَدْ أَقْبَلَ اللَّيْلُ ، وَقَدْ نَفَّذْتَ طَلَبَاتِى الثَّلاَثَةَ بِنَجَاحٍ تامٍّ . لِذلِكَ أَعْدَدْتُ لَكَ غُرْفَةً تَنَامُ فِيهَا معَ أَتْبَاعِكَ ، وَغَداً نُقِيمُ احْتِفَالاَتِ الزِّفَاف » .

* * *

قادَتِ الْمَلِكَةُ « محظوظاً » إِلَى غُرْفَةٍ واسِعَة ، فَاعْتَرَتْهُ الدَّهْشَةُ عِنْدَما تَبَيَّنَ أَنَّ أَرضَهَا مِنَ النُّحَاس ، لكِنَّهُ قال :

– « لَعَلَّ الْمُلُوكَ الْأَغْنِيَاءَ يُحِبُّونَ أَنْ تكُونَ أَرْضُ بَعْضِ غُرَفِهِمْ مِنَ النُّحَاس ! » .

ودَخَلَ أَتْـبَاعُ « محظوط » مَعَه . وأغْلَقَتِ الْمَلِكَةُ الْـبَابَ ، ثُمَّ أسْرَعَتْ إلَى خدَمِهَا وصاحَتْ بِهِم :

– « أَوْقِدُوا ناراً كَبِيرَةً تَحْتَ الْغُرْفَةِ ذاتِ الْأَرْضِ النُّحَاسِيَّة . وَيَجِبُ أنْ تَظَلَّ النَّارُ متأَجِّجَةً طَوالَ اللَّيْل » .

ونَفَّذَ الْخَدَمُ أَمْـرَ الْمَلِكَةِ كارِهِين ، فَقَدْ أَخَذُوا جَمِيعاً يَعْطِفُونَ عَلَى الْفَتَى « محظوط » ، الَّذِى نَفَّذَ طَلَبَاتِ الْمَلِكَةِ الثَّلاثَة ، وَأَصْبَحَ جَدِيراً بالزَّواجِ مِنَ الْأَمِيرَة .

وَبَعْدَ قليلٍ ، قالَ « محظوظٌ » لِأَتْبَاعِه :

– « إنَّ الحرَّ شَدِيدٌ فِى هَذِهِ الْغُرْفَة » .

وصَاحَ الرَّجُلُ الْبَدِين :

– « إنَّ الْحَرَارَةَ لا تُطَاقُ ، إنَّها تكادُ تُـزْهِقُ أَنْفَاسِى » .

وقال ذُو الأُذُنِ الْكَبِيرَة : « إنِّى أَسْمَعُ صَوْتَ نارٍ عَظِيمَةٍ تَشْتَعِل ! » .

وَقَالَ ذُو الْبَصَرِ الْحَادّ « إنَّهَا تَتَأَجَّجُ تَحْتَ هَذِهِ الْغُرْفَةِ نَفْسِهَا ! »

أَمَّا الرَّجُلُ البَارِد ، فَقَدْ أَخَذَ يَرْقُصُ طَـرَباً ، وَيَقُولُ فِى مَـــرَحٍ :

« هَذِهِ غُـرْفَةٌ دافِئَةٌ تُنَاسِبُنِى تَماما ! » . . .

هُنَا صَاحَ فِيهِ « محظوظٌ » :

– افْتَحْ مِعْطَفَكَ يا رَجُلُ . . لَقَدْ أخَذَ النُّحَاسُ الَّذِى غُطِّيَتْ بِهِ أَرْضُ هَذِهِ الْغُرْفَةِ يَسْخُنُ ، وَسَنُشْوَى فَوْقَهُ بَعْدَ قَلِيل » .

وَأَطَاعَ الرَّجُلُ ذُو الجَسَدِ البَارِدِ ، فَفَتَحَ مِعْطَفَهُ ، وسُرْعَانَ ما أَصْبَحَتِ الْغُرْفَةُ رَطْبَةً بارِدَة ، فَعادَتِ الْبَهْجَةُ إِلَى الْجَمِيع ، ولَمْ يَلْبَثُوا أَنْ اسْتَغْرَقُوا فِى نوم هادِئٍ عَمِيق .



وَفِى الصَّباح ، اقْتَرَبَتِ الْمَلِكَةُ مِنَ الْبَابِ ، وَهِى تَتَوَقَّعُ أَنْ تَشُمَّ رائِحَةَ اللَّحْمِ الْمَشْوِىّ . لَكِنَّها ، بَدَلاً مِنْ ذَلِكَ ، سَمِعَتْ « محظوظاً » وَرِجَالَهُ يَضْحَكُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ بَعْدَ أنِ اسْتَيْقَظُوا . وَهَرْوَلَت إِلَى خَدَمِها تَصِيحُ :

- « لِمَاذَا تَتَرَاخَوْنَ فِى إِشْعَالِ النَّار ؟ ارْفَعُوا حَرَارَتَها ، وَاقْذِفُوا إِلَيها بِمَزِيدٍ مِنَ الْفَحْمِ وَالْخَشَب » .

وَأَحَسَّ « محظوظٌ » بِارْتفاعِ الْحَرَارةِ مِنْ جَدِيدٍ ، فقام ، وانْتَزَعَ المِعْطَفَ مِنْ فَوْقِ كَتِفَيِ الرَّجُلِ الْبارِد ، وَسرْعانَ ما كانَتْ أَسْنَانُ « محظوظٍ » نَفْسِهِ تَصْطَكُّ مِنَ الْبَرْد ! !

وَاقْتَرَبَتِ الْمَلِكَةُ مِنَ الْبَابِ ، فَلَمْ تسمَعْ أَىَّ صَوْتٍ داخِلَ الغُرْفَةِ ، فَقَالَتْ :

- « لَقَدْ ماتُوا جَمِيعاً هَذِهِ الْمَرَّة ! » وفَتَحَتِ الْبَاب .

وَفِى لَحَظَاتٍ ، قَفَزَ « محظوظٌ » مَعَ أَتْبَاعِهِ خارِجَ الْغُرْفَة ، وَهُمْ يُحَرِّكُونَ أَيْدِيَهُمْ ، وَأَقْدَامَهُمْ ، لِكَىْ يُعِيدُوا إِلَيْهَا الدِّفْء . وَصَاحَ « محظوظ » :

- « دَعُونَا نَجْلس بِجِوارِ النَّارِ لِنُدْفِئَ أَطْرَافَنَا » .

* * *

وَعِنْدَما سَرَى الدِّفءُ فِى جَسَدِ « محظوظٍ » ، قال :

- « تُرَى ، أينَ ذَهَبَتِ الْمَلِكَة ؟ » .

فَرفَعَ الرَّجُلُ الْحادُّ الْبصَرِ قِطْعَةَ الْخَشَبِ الَّتِى تُغَطِّى عَيْنَيْهِ وَقالَ :

- « ذَهَبَتْ إِلَى قَلْعَةٍ صَغِيرَةٍ حَصِينَةٍ ، وَأَخَذَتِ الْأَمِيرَةَ مَعَهَا » .

فَانْطَلَقَ « محظوظٌ » مَعَ أَتْبَاعِهِ إِلَى هُنَاك . وما إنْ رَآهُمُ الْحُرَّاسُ حتَّى تَأَهَّبُوا لِإِطلاقِ السِّهَام والرِّماحِ عَلَيْهِم . وَ فِى بِسَاطَةٍ ، سدَّ صاحِبُ الْأَنْفِ الْعَجِيبِ فَتْحَةَ أَنْفِهِ ، فَانْطَلَقَ صارُوخٌ مِنَ الهَوَاءِ ، أَوْقعَ الْجُنُودَ عَلَى الْأَرْضِ ، وتَركَهُمْ يَتخبَّطُون .

وَأَطَالَ صَاحِبُ الذِّرَاعَيْنِ الطَّوِيلَتَيْنِ ذِراعَيْهِ ، وَأَخَذَ يَتَخَطَّفُ الحُرَّاسَ واحِداً بَعْدَ الآخر مِنْ فَوْق أَسْوَارِ الْقَلْعَة ، وَيَقْذِفُ بِهِمْ عَلَى بُعْدِ مِائَةِ مِيلٍ . وَانقَضَّ الْبَدِينُ الْقَوِىُّ عَلَى بَابِ الْقَلْعَةِ ، يَهُزُّهُ بِعُنْفٍ ، حَتَّى انْتَزَعَهُ مِنَ الْجُدْران .



وَتَجَمَّعَ خَلْفَ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ بَعْضُ الْحُرَاسِ ، فَوَقَفَ فِى وَسَطِهِمُ الرَّجُلُ الْبَارِدُ ، وَفَتَحَ مِعْطَفَه ، فَتَجَمَّدُوا فِى لَحَظَاتٍ ، واسْتَلْقَوْا عَلَى الْأَرْضِ دُونَ حِرَاكٍ .

وعَادَ صاحِبُ البَصَرِ الحادِّ يرفَعُ قِطْعَةَ الخَشَبِ عَنْ عَيْنَيْهِ ، وَيُوَجِّهُ بَصَرَهُ إِلَى مُخْتَلِفِ جَوَانِبِ القَلْعَةِ ، باحِثاً عَنِ الْأَمِيرَةِ ، فَوجَدَهَا تَجْلِسُ فى رُكْنِ سِجْنٍ صَغِيرٍ . أَمَّا المَلِكَةُ الْعَجُوزُ ، فَاكْتَشَفَهَا مُخْتَفِيَةً فِى أحَدِ الأَبْراجِ العَالِيَةِ .

وسُرْعَانَ ما اسْتَخْدَمَ صاحِبُ الذِّراعَيْنِ الطَّوِيلَتَيْنِ ذِراعَيْهِ ، فَأَخْرَجَ الأَمِيرَةَ مِن نافِذَةِ سِجْنِها . ثُمَّ جَذَبَ الْعَجُوزَ مِن مَخْبَئِهَا ، ووضَعَها فِى السِّجْنِ نَفْسِهِ الَّذِى كانَتْ قَدْ أَلْقَت بِالْأَمِيرَةِ فيهِ .

وَأَسْرَعَ « محظوظ » مَعَ رِجَالِهِ ، فَأَفْرَجُوا عَنْ جَمِيعِ سُجَنَاءِ جَزِيرَةِ الماعِزِ والأَغْنَام ، وَسَمَحُوا لِكُلٍّ مِنْهُمْ أَنْ يَعُودَ إِلَى بَلَدِه .

وَبَعْدَ أَيَّامٍ ، احْتَفَلَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ احْتِفَالاً رائِعاً بِزِفَافِ الْأَمِيرَةِ الْجَمِيلَةِ إِلَى الْفَتَى « محظوظ » .



وَشاهَدَ الْجَمِيعُ ضَيْفَةً حَسْنَاءَ جاءَتْ عَلَى حِصَانٍ أَبْيَض ، وَهِىَ تَحْمِلُ طِفْلاً صَغِيراً ، لِتُقدِّمَ تَهْنِئَتَهَا لِلْعروسَيْن ، وَأَكَّدَ كَثِيرونَ أَنَّهُمْ شاهَدُوا ضَوْءاً ، يَشِعُّ مِنْ وَجْهِهَا النَّبِيلِ الْجَمِيل .

وَعاشَ « محظوظٌ » مَعَ الْأَمِيرَةِ فِى سَعَادةٍ وَهَنَاءَةٍ ، يَخدُمُهُمَا فِى إِخلاصٍ الْأَتْبَاعُ الْخَمْسَةُ الْأُمَناءُ الطَّيِّبُون . . .



(أسئلة فى القصة)

١ - لماذا كانت العجوز تعارض فى زواج الأميرة ؟

٢ - كيف عرف الفتى « محظوظ » أخبار الأميرة الجميلة ؟

٣ - كيف ساعد الفتى « محظوظ » السيدة التى فقدت ابنها ؟

٤ - « ستقابل فى طريقك خمس غرائب عجيبة » لمن قالت السيدة هذه العبارة ؟ وكيف تحقق قولها ؟ .

٥ - لماذا كان الرجل البدين فى حاجة إلى طعام كثير ؟

٦ - ما فائدة الأذن الكبيرة التى كان يتميز بها صاحبها ؟

٧ - لماذا كان الرجل ذو البصر الحاد يضع قطعة خشب على عينيه ، والرجل السريع يضع إحدى قدميه فوق كتفه ، والرجل البارد يرتدى معطفاً فى الجو الحار ؟

٨ - كيف تم إيقاظ الرجل السريع عندما نام بجوار البئر ؟

٩ - لماذا لم تجد الملكة طعاماً عندما جلست ذات يوم للغداء ؟

١٠ - « يجب أن تحرص على ألا تغيب الأميرة عن نظرك » . لمن قالت الملكة العجوز هذه العبارة ؟ وماذا كانت تقصد منها ؟

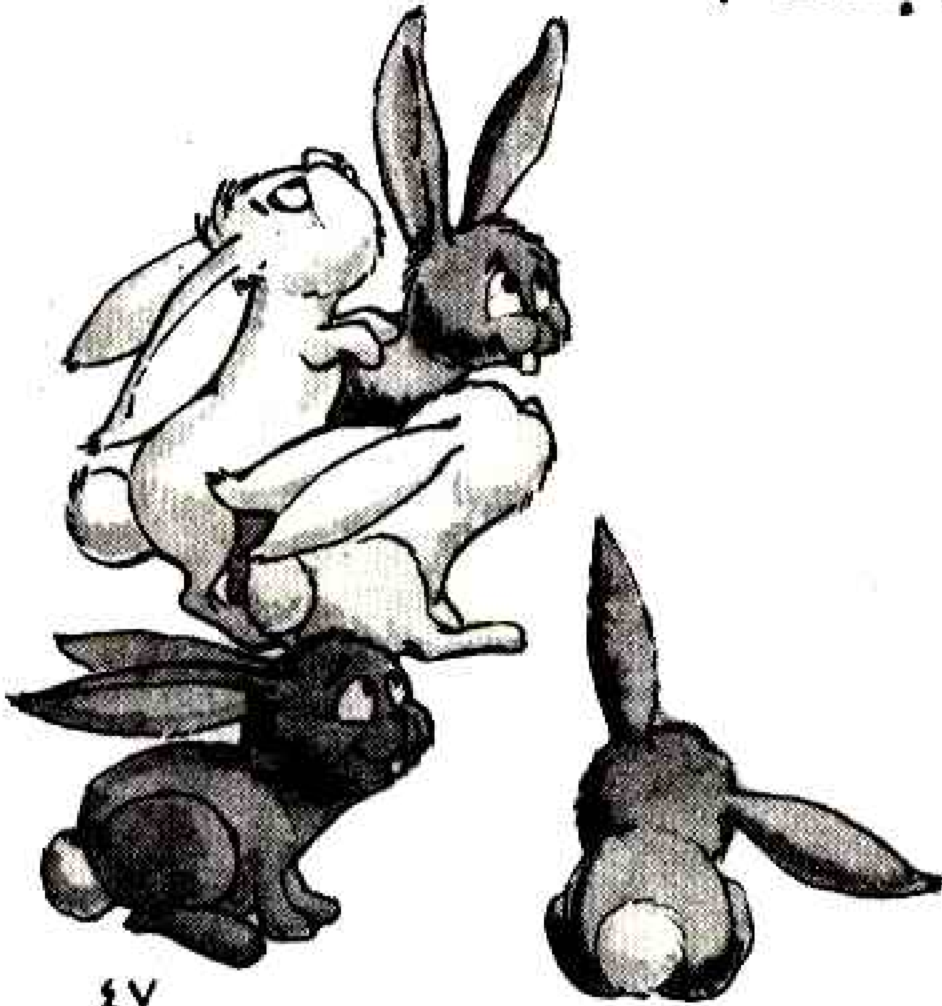
١١ - لماذا نام « محظوظ » عندما كان يجلس مع الأميرة ؟ وما الذى حدث فى أثناء نومه ؟

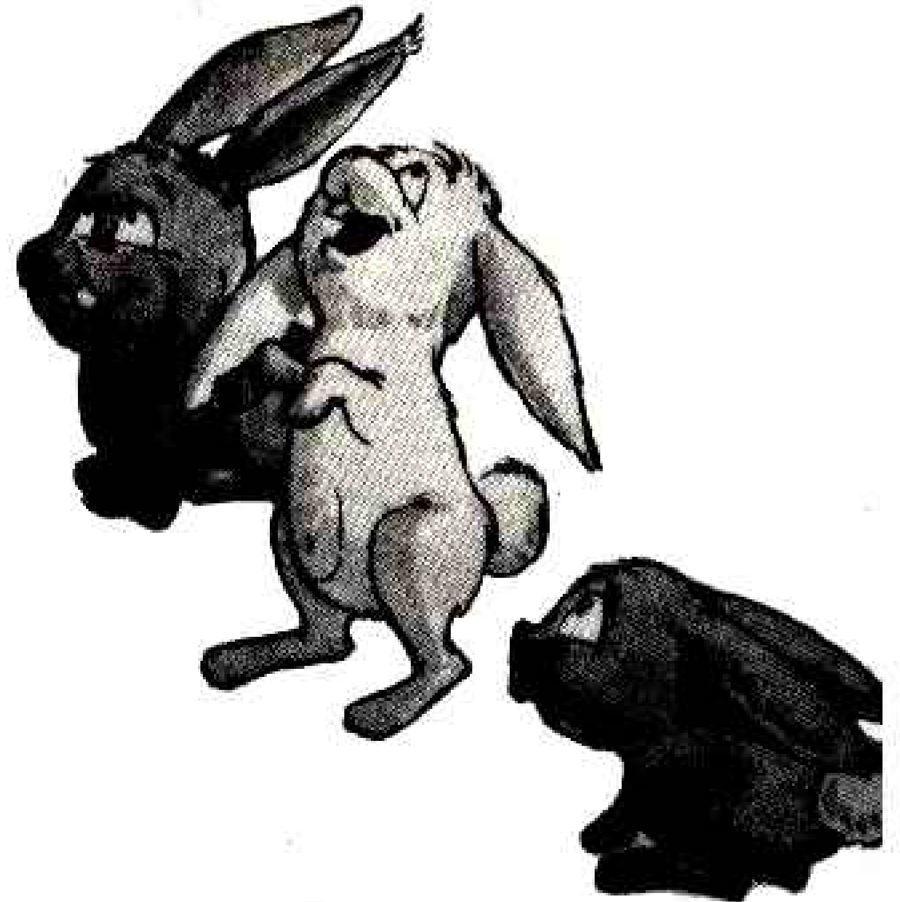
١٢ - كيف عبر « محظوظ » مع أتباعه البحر إلى الجزيرة ؟

١٣ - كيف تغلب « محظوظ » على القلعة التى تحصنت بها الملكة ؟

١٤ - ماذا فعل « محظوظ » مع سجناء جزيرة الماعز والأغنام ؟

١٥ - أكتب تلخيصاً لهذه القصة فى ثلاث صفحات من إنشائك ؟






النهاية
١٩٧٥